

السنة الثلاثون وخمس مئة

فيها في المحرم وصلَ يرنقش الزكوي في أمورٍ صعبة رُفِعَتْ إلى الخليفة؛ منها أنه مطالبٌ بخطِّ كتبه المسترشد بسبع مئة ألف دينار ليتخلَّص من أسرِهِ، ومطالب لأولاد صاحب المخزن بثلاث مئة ألف دينار، وقسط على أهل بغداد خمس مئة ألف دينار وغير ذلك، فاستشار الرَّاشدُ أربابَ دولته، فأشاروا عليه بالمكاشفة، فبعث إلى يرنقش يقول: قد عَلِمْنَا في أيِّ شيءٍ جِئْتَ: أما الأموال المضمونة فإنها كانت لإعادة الخليفة إلى داره سالمًا، ومستقرَّ عِزِّه آمنًا، لا للممالة على قتله، وأما أموال النَّاس فلا سبيلَ إليها، وما لك عندنا إلا السِّيفُ؛ وأنا مطالبٌ بثأر أبي.

وقطع حُطْبَةَ سنجر ومسعود، وكاتبَ زُنكي، وأطمعه في المُلْك، وقال: يكون الملك ألب رسلان بن محمود الذي عندك، وأنت أتاكه.

وكاتبَ يرنقش البازدار وإقبال الخادم، وأياز صاحب محمود فَقَدِمُوا عليه، وعليهم ثيابُ العزاء، فحَسَّنُوا للرَّاشد الخروج، واستوزر أبا الرضى ابن صدقة، وجاء داود، فنزل دار المملكة، وبعثَ الرَّاشد إليه وإلى زُنكي والجماعة الأموال والهدايا. وخطب لداود في صفر.

ثم إنَّ الرَّاشد بلغه عن إقبال الخادم أنه كاتبَ مسعوداً، فقبض عليه، فأرسل زُنكي يقول: هذا قد جاء في صحبتي، وهو في ضماني، ولا بُدَّ من الإفراج عنه. فامتنع الرَّاشد، وشَفَع فيه جميعُ الأمراء، فلم يقبل، وكان ذلك سبباً لفساد حال الرَّاشد، فركب زُنكي والبازدار إلى السُّور، وأخربوا منه قطعة، وجاء زُنكي فوقف تحت النَّج، وسأل في إقبال سؤالاً تحته إلزام، وكان إقبال قد وُكِّلَ به في النَّج، فَعَقَلَ عنه الموكِّلون، فهرب إلى زُنكي، فَصَعَبَ على الخليفة، ووَكِّلَ بأستاذ الدَّار، والبوابين، وقال: كيف جرى مثل هذا؟! وكان إقبال من حُدَّام المسترشد أستاذ داره، فلما قُتِلَ المسترشد هَرَبَ من مَرَاغَة إلى زُنكي، فأقام عنده.

وبعث الرَّاشد بالوزير محمد بن أحمد بن صدقة إلى زنكي يوبّخه على ما جرى منه، فلامه زنكي، وقال: ما هذا التدبير السيّء، والأفعال القبيحة؟ فقال الوزير: أنا مستجير بالله وبك لا أعود إليه، فإنه مستبدّ برأيه، وما يسمع مني. فقال: اجلس فأنت آمن.

وبعث الخليفة يطلب الوزير، فامتنع، وقال: أيّ وزير أنا إذا كنتُ أشير عليك بالمصلحة لا تقبل مني، وتفعل ما عاقبتة إلى الهلاك، قلت لك: لا تقبض الخادم ما قبلت، وقد وليت ابن الهاروني الملعون النصراني على المسلمين، وهو يكون سبباً لتغيير الدولة. فقبض الرَّاشد على ابن الهاروني، وأخذ منه مئتي ألف دينار، وكان قد فتح على الناس أبواب الظلم والمكوس؛ وتقدّم إلى أبي الكرم الوالي بقتله، فقتله، وصلبه.

وأما مسعود فإنه أفرج عن أرباب الدولة وهم الوزير وابن طلحة وقاضي القضاة، وابن الأنباري، ونقيب الطالبين ابن المعمّر، فأما النقيب فتوفي لما نزل من القلعة، وأما قاضي القضاة فانحدر إلى بغداد، وأما الباكون فدخلوا بغداد مع مسعود.

وقبض الرَّاشد على أستاذ داره أبي عبد الله بن جهير، وقيل: إنه وُجدت له مكاتبات، وبعث زنكي يقول: أريد مال الخادم، فإنه مال السلطان، ونحن نحتاج [إلى] النفقات. فلم يُعط شيئاً، وأشار زنكي على ابن صدقة أن يكون وزير السلطان داود، فأجابه. وولى الخليفة أبا العباس بن بختيار قضاء واسط. وتواترت الأخبار بمجيء مسعود، فجاء زنكي، فدخل على الخليفة، وقبل يده، واستوثق منه.

وقرب مسعود من بغداد، وبعث يطلب صلح الخليفة، فلم يُجبه، وأشار زنكي واليرنقش والبازار بالخروج إلى محاربتة، وضرب سُراده بباب الحلبة^(٢)، ورذ ابن صدقة إلى الوزارة. وخرج الرَّاشد من داره سلخ شعبان، وجاءت ملطفات من مسعود إلى الأمراء، فأحضرها إلى الخليفة وزنكي إلا بكبه الشحنة فإنه أنكر، فغرقه زنكي.

(١) ما بين حاصرتين من (ح).

(٢) الحلبة: محلة كبيرة واسعة، شرقي بغداد، عند باب الأزج. «معجم البلدان»: ٢/ ٢٩٠.

وفي عاشر رمضان جاء رسول مسعود يطلب الصلح، فقال الأمراء: ماله عندنا إلا السيف. فكاتبهم مسعود، وحلّف لزنكي على الموصيل والشام، وأن ليرنقش همذان، والبازدار أصبهان، وكتب سراً إلى الأمراء بقتل زنكي، فاستفسد الجميع، وخاف بعضهم من بعض، وأصبح الخليفة وليس معه أحد من العساكر.

وجاء غلمان مسعود إلى تربة الرضا، فقلعوا شبايكها، فقال زنكي للخليفة: ما تم مطلوب إلا أنا وأنت، والمصلحة خروجك معي إلى الموصل. ولما تيقن الراشد مجيء مسعود، وأنه لا بد له من تولية غيره، جمع الأمراء من أبناء الخلفاء وكانوا زيادة على العشرين، فجعلهم في سرداب، واستدعى أبا القاسم بن الصاحب حاجب الباب، وأعطاه سيفه، وقال: اذهب، فاضرب أعناق الجميع وإلا ضربت عنقك. فأخذ السيف، وخرج وتوقف، وقال: كيف أقتل أولاد الخلفاء! وجاء إلى باب السرداب وليس في عزمه شيء. فوقف متحيراً، وإذا بصائح يصيح: وصلت مقدمات مسعود إلى السور. فخرج الراشد من باب البشري، وقد حمل من الجواهر ما قدر عليه، ومعه قاضي القضاة الزينبي، وابن صدقة وزيره، وإذا زنكي واقف ينتظره، وكان خروجه ليلة السبت رابع عشرة ذي القعدة، وسار يوم السبت، وليس معه شيء من آلة السفر، وسلم مفاتيح داره إلى خاتون زوجة المستظهر، وترك في الدار من الأموال والذخائر والجواهر أضعاف ما كان مع المسترشد، فاستدل الناس بذلك على إدار أمره.

وقيل: إن زنكي لما وصلت مقدمات مسعود إلى الرضا سار إلى الموصل، ونهب أصحابه أوانا ودجيل، ولحقه الخليفة.

ودخل مسعود بغداد يوم الأحد خامس عشرة ذي القعدة، وبعث إلى الراشد يسأله الرجوع إلى داره، واسترضاه، فلم يثق به، ولم يرجع، فجمع مسعود القضاة والشهود والأعيان، وأخرج لهم نسخة يمين كانت بينه وبين الراشد أخذها عليه بكبه، وفيها بخطه: متى جئت أو حاربت أو جذبت سيفاً في وجه مسعود فقد خلعت نفسي من هذا الأمر. وفيها خطوط القضاة والشهود، فشهد بذلك، وحكم القضاة بخلعه.

وقال صدقة الحدّاد الحنبلي^(١) في «تاريخه»: إنَّ الوزير أبا القاسم بن طراد صدّر محضراً على الرّاشد فيه أنواعٌ من الكبائر ارتكبتها من الفسق والفجور، ونكاح أمهات أولاد أبيه، وأخذ أموال النَّاس، وسفك الدِّماء، وأنه فعل أشياء لا يجوز أن يكون معها إماماً، فتوقف الشُّهود، فتهدّد بهم ابنُ طراد، وقال: عَلِمْتُمْ صحة هذا وتيقنتموه، فما المانع من إقامة الشهادة؟ فشهدوا، ومن جُملة من شهد فيه ابن الكرخي، وابن البيضاوي، وابن الهيثمي، ونقيب الطّالبيين، وابن الرّزاز^(٢)، وابن شافع الحنبلي، وحكم بخلعه يوم الاثنين ثامن عشرة ذي القعدة، وولوا المقتفي.

الباب الحادي والثلاثون

في خلافة المقتفي لأمر الله محمد بن المستظهر، أخو المسترشد، عمّ الرّاشد

وكنيته أبو عبدالله، ومولده في ربيع الأوّل سنة تسع وثمانين وأربع مئة. وأمه نسيم أمّ ولد مولدة صفراء وتلقب بسّ السّادة، وقيل: اسمها عذار، وكان يضرب بها المثل في الكرم والفضل، وسنّ المقتفي يومئذ اثنتان وأربعون سنة، واستوزر ابن طراد. وإنما لُقّب بالمقتفي لأنّه رأى النّبِيَّ ﷺ في منامه قبل أن يلي الخلافة بستة أيام، وهو يقول له: ستلي هذا الأمر، فاقتف بي.

ولما ولي مضت خاتون المستظهرية إلى دار السُّلطان لتسأله في أولاد الرّاشد وجواريه وحرمه وأمواله، فرجعت وقد بعثَ مَنْ أخذ جميع ما في الدّار من الذهب والفضّة والجواهر والخيل والثياب والحُصُر، ولم يدع في الإسطبل سوى أربعة أفراس، وثلاث بغال لنقل الماء. وكان قد تقرّر على المقتفي مال البيعة، فأخذ الجميع عَوْضاً عن ذلك، وطولب المقتفي بمالٍ، فقال: قد أخذتم جميع ما كان في الدّار حتى الحُصُر، فمن أين لي مال؟ وعرض عقاره، فلم يتجاسر أحدٌ أن يشتريه.

(١) هو صدقة بن الحسين، وقد توفي سنة (٥٧٣هـ)، وستأتي ترجمته في وفياتها.

(٢) في (ع) و(ح): الروان، والمثبت من «المنتظم»: ٦٠/١٠.

وبعث مسعود غلماناًه إلى حظايا الرّاشد، فسلبوهن حُلِيِّهِنَّ، وكشفوا وجوههن،
وأخذوا الحلق من آذانهن، وفضحوهن، وأخذوا حتى ثيابهن.

وأما الرّاشد فإنّه وصل الموصول سلخ ذي القعدة، فأنزله زنكي دار السّلطنة،
وخدمه.

وفيهما قديم بغداد الحسن بن يعيش^(١)، أبو علي الموصلي، شاعرٌ مجيد، ومن

شعره: [من الرجز]

ما ذكّرت كُثْبَ^(٢) الصّريم والنقا
وأظهرت تنفساً مع نفسِي
رفقاً بها يا أيها الحادي فما
كم سُفّت يومَ بَيْنِهِم حُشاشةٌ
بحاجرٍ إلا ومدّت عنقنا
كادت له الأظعان أن تحترقا
يضرُّ حادي الركب لو ترفقا
معك وكم خلّفت جُثماناً لقي

وقال: [من الرجز]

هَبَّتْ لَنَا نَسِيمَةٌ نَجْدِيَّةٌ
وَاسْتَنْشَقَتْ رِيّاً رُبَاهَا فَعَدَّتْ
ارخ لها زمامها لو لم تكن
وقل لها جدّي السرى لِتَرِدِي
أشملها نحو بلاغِ رامه
فَرَقَعَتْ أَعْنَاقَهَا حَنِينَا
تَسُحُّ مِنْ عَيُونِهَا عَيُونَا
حزينة لم تجب الحزونا
ماءً بأرضٍ حاجرٍ مَعِينَا
وشوقها يسوقها يمينا

وفيهما أخذ شهابُ الدّين محمود بن بوري صاحب دمشق حِمَصَ وقلعتها من
خيرخان بن قراجا^(٣) بسفارة الحاجب يوسف بن فيروز، وكان مقيماً بتدمر على
ما وصفنا، وأخذ حماة أيضاً، وكان زنكي مشغولاً بالخليفة، وكان خليفته بحلب
الأمير سوار، وقد قنع منه بالاسم لا غير.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ نَظَرَ.

(١) لم أقف على ترجمته في المصادر التي بين يدي.

(٢) كُثْب جمع، مفردها كُثيب، وهي تلال الرمل، وقد سكنت الثاء لضرورة الشعر. «اللسان» (كتب).

(٣) كذا في النسخ الخطية، والصواب: أولاد خيرخان كما في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٣٩٧.

وفيها توفي

علي بن أحمد بن منصور^(١)

أبو الحسن ابن قُبَيْس، الغَسَّاني، التَّحوي، الرَّاهِد.

كان منقطعاً عن الناس بالمنارة الشَّرْقِيَّة بجامع دمشق، وكان عالماً بالفرائض والأدب والحساب، ثِقَّةً، وَرِعاً، يُفْتِي على مذهب مالك.

توفي يوم عرفة، ودفن بالبَاب الصَّغِير، [سمع الخطيب وغيره، وروى عنه الحافظ ابن عساكر وغيره]^(٢).

[فصل: وفيها توفي

علي بن أحمد بن الحسن^(٣)

أبو الحسن المُوَحَّد، ويعرف بابن بَقْشَلان، ويقال بَقْشَلام - بالميم - ذكره جَدِّي في «مشيخته» ولو تركه كان أولى لثلاثة أوجه، إحداها أَنَّهُ قال: إنما سَمِّي البَقْشَلام، لأنَّ أباه باتَ ليلةً بقرية من قُرَى بغداد يقال لها شلام كثيرة البق، فكان يقول طول الليل: بق شلام، وهذا كلام لا فائدة فيه. والثَّانِي أَنَّ جدي ذكره في «المشيخة»، وقال: كان شيخنا ابن ناصر يغمزه بشيئين، أحدهما الميل إلى الأشاعرة، والثاني بخدمة السلطان، فَظَلَمَ جماعةً من أهل السَّواد. الثالث: أن جدي حكى في «المنتظم» عن ابن ناصر أَنَّهُ قال: كان في أيام الفُتْن مع أهل البِدْع، ولم يكن من أهل السُّنة ولا العارفين بالحديث، فلا يحتجُّ بروايته.

قلتُ: ومن هذا حاله كيف تجوز الرواية عنه؟ ثم عاد جدي في «المنتظم» وثقه، وقال: ولد ابن البَقْشَلام في شعبان سنة ثلاث وأربعين وأربع مئة، وسمع من

(١) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» (خ) (س): ١١/٨٥٤-٨٥٥، و«إنباه الرواة»: ٢/٢٣٢، و«العبر» للذهبي: ٤/٨٢، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/١٨-١٩، وفيه تمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/٦٢-٦٣، و«مشيخة ابن الجوزي»: ٨٢-٨٤، و«الأنساب»: ٢/٢٦٤-٢٦٥، و«اللباب» لابن الأثير: ١/١٦٦-١٦٧، و«ميزان الاعتدال»: ٣/١١٣، و«لسان

الميزان»: ٤/١٩٧، و«توضيح المشتبه»: ٨/٣٠٢-٣٠٣.

أبي الحسين ابن المهدي، وأبي يعلى الفراء، وأبي جعفر ابن المسلمة، وأبي الحسين ابن الثَّقور وغيرهم، وحدثنا عنهم، وكان سماعه صحيحاً وظاهره الثقة. ثم ذكر عن ابن ناصر له بما ذكرناه، وتوفي في رمضان، [ودفن] ^(١) [باب أبرز] ^(٢).

القاسم بن عبد الله بن القاسم ^(٣)

ابن الشهرزوري، شمس الدين، أخو القاضي كمال الدين

ولي قضاء الموصِل، وكان يعظُ النَّاسَ، وله قَبُولٌ حَسَنٌ، وهو القائل القصيدة المشهورة ^(٤)، وهي: [من الخفيف]

لَمَعَتْ نَارُهُمْ وَقَدْ عَسَعَسَ اللَّيْلُ
فَتَأَمَّلْتُهَا وَقَلْتُ لَصَحْبِي
وَفؤَادِي ذَاكَ الْفؤَادُ الْمُعَنَّى
فَرَمَوْا نَحْوَهَا لِحَاطِطاً صَحِيحاً
ثُمَّ مَالُوا إِلَى الْمَلَامِ وَقَالُوا
فَتَجَنَّبْتُهُمْ وَمَلْتُ إِلَيْهَا
وَمَعِي صَاحِبٌ ^(٦) أَتَى يِقْتَفِي الْآ
وَهِيَ تَعْلُو وَنَحْنُ نَدْنُو إِلَى أَنْ
لُ وَحَارَ الْحَادِي وَضَلَّ الدَّلِيلُ
هَذِهِ نَارُ آلِ لَيْلَى فَمِيلُوا ^(٥)
وْغَرَامِي ذَاكَ الْغَرَامُ الدَّخِيلُ
بِ فِعَادَتِ خَوَاسِئاً وَهِيَ حُورٌ
خُلِبَتْ مَا رَأَيْتَ أَوْ تَخِيلُ
وَالهَوَى مَرَكَبِي وَشَوْقِي الزَّمِيلُ
ثَارَ وَالْحَبُّ شَرْطُهُ التَّطْفِيلُ
حَجَزَتْ دُونَهَا طَلُولٌ مُحُولُ

(١) ما بين حاصرتين من «المنتظم»

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢/٢٣٨ - وفيه توفي سنة (٥٣٠هـ) - و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٧/٢٦٦، - وفيه وفاته سنة (٥٣٣هـ) - و«النجوم الزاهرة»: ٥/٢٥٨.

(٤) نسبها ابن خلكان في «وفياته»: ٣/٤٩-٥١ للمرتضى الشهرزوري، والد القاسم المذكور، وقد سلفت ترجمة المرتضى (وفيات سنة ٥٢٠هـ).

(٥) في «وفيات الأعيان»:

من عليل ولحظ عيني كليل
وْغَرَامِي ذَاكَ الْغَرَامِ الدَّخِيلِ
هَذِهِ النَّارُ نَارِ لَيْلَى فَمِيلُوا

فتأملتها وفكري من البـ
وفؤادي ذاك الفؤاد المعنـ
ثم قابلتها وقلت لصحبي

(٦) في (ع) حاجب، والمثبت من (ح).

زَفَرَاتٌ مِنْ دُونِهَا وَغَلِيلٌ
 وَجَرِيحٌ مُكَبَّلٌ وَقَتِيلٌ^(١)
 جَاءَ يَبْغِي الْقِرَى حَوَاهِ الْمَقِيلُ
 هَا فَمَا عِنْدَنَا لَضَيْفٍ رَحِيلُ
 قَلْتُ مَنْ لِي بِهَا وَكَيْفَ السَّبِيلُ
 صَرَعَتْهُمْ قَبْلَ الْمَذَاقِ الشَّمُولُ
 فَهَوَ رَسْمٌ وَالْقَوْمُ فِيهِ حُلُولُ^(٢)
 لِي تَبَقَّى عَلَيْهِ مِنْهُ الْقَلِيلُ^(٣)
 لِي فَوَادٌ عَنْكُمْ بِكُمْ مَشْغُولُ^(٤)
 نِي إِلَيْكُمْ وَالْحَادِثَاتُ تَحْوُلُ
 رِكْمٌ هَذِهِ الْعَدَاةُ سَبِيلُ
 تٌ فَمِنْ دُونِهَا رُبًّا وَمَحْوُلُ
 وَهُوَ عَنْهَا مَبْرَأٌ مَعْرُزُولُ

فَدَنَوْنَا مِنَ الطَّلُولِ فَحَالَتْ
 قَلْتُ مَنْ بِالذِّيَارِ قَالُوا أَسِيرُ
 مَا الَّذِي جِئْتَ تَبْتَغِي قَلْتُ ضَيْفُ
 فَأَشَارُوا بِالرَّحْبِ دُونَكَ فَاغْقِرُ
 مِنْ أَتَانَا أَلْقَى عَصَا السَّيْرِ عَنْهُ
 فَحَطَّظْنَا إِلَى مَنَازِلِ قَوْمٍ
 دَرَسَ الْوَجْدُ مِنْهُمْ كُلَّ رَسْمٍ
 وَمَنْ الْقَوْمِ مَنْ يَشِيرُ إِلَى وَجْدٍ
 قَلْتُ أَهْلَ الْهَوَى سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
 لَمْ يَزَلْ حَافِزُ التَّشْوُقِ يَحْدُو
 جِئْتُ كَيْ أَصْطَلِي فَهَلْ لِي إِلَى نَا
 لَا تَرَوْقَنَّكَ الرِّيَاضُ الْأَنْيَقَا
 لَيْسَ إِلَّا الْأَنْفَاسُ تُخْبِرُ عَنْهُ

(١) كذا في (ع) و(ح)، وفي «وفيات الأعيان»:

قلت من بالديار قالوا جريح

وهو الأشبه.

(٢) بعد هذا البيت في (ح). ليس إلا الأنفاس، وهو كذلك في «وفيات الأعيان».

(٣) بعد هذا البيت في (ح):

ولكل رأيت منهم مقاماً، ومثله في «وفيات الأعيان».

(٤) بعد هذا البيت في (ح): وجفوني قد أقرحتها، ومثله في «وفيات الأعيان».

وبعده فيهما:

بي إليكم والحادثات تحوّل
 لم عذري في ترك عذري قبول
 ركم هذه الغداة سبيل
 كل حد من دونها مفلول
 ت فمن دونها رباً ومحول
 ها وراموا أمراً فعزّ الوصول

لم يزل حافز التشوق يحدو
 واعتذاري ذنب فهل عند من يعد
 جئت كي أصطلي فهل إلى نا
 فأجابت شواهد الحال عنهم
 لا تروقنك الرياض الأنيقا
 كم أتاهم قوم على غرة مند

وقفوا شاخصين... إلخ، ومثله في «وفيات الأعيان» مع اختلاف في بعض الألفاظ.

ولكل رأيت منهم مقاماً
 وجفوني قد أفرحتها مع الدّم
 واغتذاري ذنب فهل عند من يع
 فأجابت شواهد الحال عنهم
 كما أتاهم قوم على غرة مند
 وقفوا شاخصين حتى إذا ما
 وبدت راية الوفا بيد الوج
 أين من كان يدعينا فهذا ال
 بذلوا أنفسهم سحت حين سحت
 قذفتهم إلى الرسوم فكل
 نارنا هذه تضيء لمن يس
 جاءها من علمت يبغي قراها
 فتعالت عن المنال وعزت
 فوقفنا كما رأيت حيارى
 ندفع الوقت بالرجاء وناهي
 هذه حالنا وما وصل العلد
 من أبيات. وقيل: إنها لغيره^(١).

شَرُّهُ فِي الْكِتَابِ مِمَّا يَطْوُلُ
 حِ حَنِيناً إِلَى لِقَائِكُمْ سَيُولُ
 لِمُ عُنْزِي فِي تَرْكِ عُنْزِي قَبُولُ
 كُلُّ حَدِّ مِنْ دُونِهَا مَفْلُولُ
 هَا وَرَامُوا أَمْرًا فَعَزَّ الْوَصُولُ
 لَاحٍ لِلْوَصْلِ غُرَّةٌ وَحُجُولُ
 دِ فَتَوَدُّوا أَهْلَ الْحَقَائِقِ جُولُوا
 يَوْمٌ فِيهِ صَبَغَ الدَّعَاوَى يَحُولُ
 بِوَصَالٍ وَاسْتُصْغِرَ الْمَبْدُولُ
 دُمُهُ فِي طَلُولِهَا مَطْلُولُ
 رِي بَلِيلٍ لَكِنَّهَا لَا تُنِيلُ
 وَلَهُ الْبَسْطُ وَالْمُنَى وَالسُّوْلُ
 عَنِ دُنُوِّ إِلَيْهِ وَهُوَ رَسُولُ
 كُلُّ عَزْمٍ مِنْ دُونِهَا مَغْلُولُ
 لَكَ بِقَلْبٍ غَذَاؤُهُ التَّعْلِيلُ
 مُمْ إِلَيْهِ وَكُلُّ حَالٍ تَحْوُولُ

محمد بن عبد الله بن أحمد^(٢)

ابن حبيب، أبو بكر العامري، ويعرف بابن الخبازة.

(١) أوردتها بتمامها ابن خلكان في «وفيات الأعيان»: ٤٩/٣-٥١، ونسبها للمرتضى والد المترجم كما ذكرنا، وقال: وإنما أثبت هذه القصيدة بكاملها لأنها قليلة الوجود، وهي مطلوبة.
 (٢) له ترجمة في «المنتظم»: ٦٤-٦٥/١٠، و«مشيخة ابن الجوزي»: ١٤٩-١٥٢، و«الكامل» لابن الأثير: ٤٦/١١، و«الوافي بالوفيات»: ٣/٣٤٩، و«توضيح المشتبه»: ١٧١/٢.

ولد سنة تسع وستين وأربع مئة، وسافر إلى البلاد، [وسمع الحديث بنيسابور وبلخ وهراة، ودخل مرو وخراسان]^(١)، وشرح كتاب «الشهاب»^(٢)، وكانت له معرفة بالفقه والحديث، وكان يعظ على طريقة الصوفية.

[وذكره جدي في «مشيخته» وقال: كان]^(١) قليل التكلف، وكثيراً ما يصعد المنبر^(٣) [ويده مروحةً يتروّح بها. قال: وسمعت يوماً ينشد]^(٤): [من البسيط]

كيف احتيالي وهذا في الهوى حالي والشوق أملك بي من عدلٍ غدالي
وكيف أسلو وفي حُبِّي له شغلٌ يحول بين مهمّاتي وأشغالي
[قال]^(١): وبني رباطاً بقراح أبي الشَّحْم^(٥)، واجتمع إليه جماعة من المتزهدين،
فلما احتضِر، قالوا: أوصنا. فقال: راقبوا الله في الخلوات، واحذروا مثل مصري
هذا، فقد عشت إحدى وستين سنة، وما كأني رأيت الدنيا. ثم أنشد: [من الكامل]
ها قد مددتُ يدي إليك فرُدّها بالعفو لا بشماتة الأعداء
وهذا البيت لأبي نصر بن القُشَيْري^(٦)، وإنما تمثّل به [ابن الحَبَّازة عند الموت.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) يعني كتاب «الشهاب» للقاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي، المتوفى سنة (٤٥٤هـ)، وله شروح كثيرة، وقد طبع «الشهاب» بتحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ونشرته مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٥. وشرح العامري لما يصل إلينا، وقد نقل عنه المناوي في «فيض القدير».

(٣) انظر «المشيخة» لابن الجوزي: ١٥١، وفيه: فرميا صعد المنبر ومعه مروياته (كذا استظهرها محققه)، أما باقي الخبر فهو بنحوه في «المنتظم»: ٦٤/١٠.

(٤) في (ع) و(ح): وكثيراً ما يصعد المنبر أنشد، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٥) في «المنتظم» و«المشيخة»: بقراح ظفر، قال ياقوت في «معجم البلدان»: ٣١٥/٤ في القراح: والمراد به هاهنا اصطلاح بغداد، فإنهم يسمون البستان قراحاً، وفي بغداد عدة محال عامرة... يقال لكل واحدة منها قراح إلا أنها تصاف إلى رجل تعرف باسمه، كانت قديماً بساتين، ثم دخلت في عمارة بغداد، وهي متقاربة. قلت: ثم عدّها: قراح ابن رزين، وقراح ظفر، وقراح القاضي، وقراح أبي الشحم، ثم عيّن مواضعها في بغداد بدقة، ثم قال: فهذه أربع محال كبار عامرة أهلة كل واحدة منها تقرب أن تكون مدينة، وفيها أسواق ومساجد ودروب كثيرة.

(٦) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٥١٤هـ).

وكانت وفاته^(١) في رمضان، ودُفِنَ في رباطه، ثم جاء الغرق سنة أربع وخمسين وخمسة مئة، فهَدَمَ تلك المَحَلَّةَ والرِّباط، وعَقَى آثارَ القبر. [سمع ببغداد أبا محمد التميمي، وأبا الفوارس طراد الزُّنبي وغيرهما]^(٢). وكان ابن الحَبَّازة صدوقاً ثَقَّةً.

محمد بن حَمُوِيَه بن محمد^(٣)

ابن حَمُوِيَه الجُوِيَنِي، أحد المشهورين بالزُّهْدِ والصَّلَاحِ، والفَضْلِ والعِلْمِ، صاحبُ كرامات، وله مريدون بالعراق وخراسان، وكان زاهداً ورِعاً. قرأ الفقه والأصولين على إمام الحرمين، ثم انجذب إلى الزُّهْدِ والعبادة، وحجَّ مرَّات، وكان دعاؤه مستجاباً، وكان السلطان سنجر والملوك يزورونه، ولا يغشى أبوابهم، ولا يقبل صلاتهم، ولا يأكل من الأوقاف، كان له قطعة أرض من ملكه يزرعها خادماً له، ويتقوّت منها، وبنى خانكاه بَحَيْرِاباد^(٤) إلى جانب داره، وأوقف عليها أوقافاً.

وصنَّف كتاب «لطائف الأذهان في تفسير القرآن»، و«سلوة الطالبين في سير سيّد المرسلين»، وكتاب «الأربعين في الحديث»، وطريقة في الفقه في ترتيب الأحاديث، وكتاب في علوم الصُّوفية، وغير ذلك.

وولد في المحرم سنة تسع وأربعين وأربع مئة ببَجَيْرِاباد، وتوفي بإسفرايين عُرَّةَ ربيع الأول، وحُمِلَ إلى بحيراباد، فُدِّنَ في داره.

وأخذ طريق التصوف عن أبي الفضل بن محمد الفارمَدي، عن أبي القاسم الطوسي، عن أبي [عثمان سعيد]^(٥) بن سلام المغربي، عن أبي عمرو الزَّجَاجِي، عن

(١) في (ع) و(ح): وإنما تمثل به، وتوفي في رمضان، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «الأنساب»: ٢٣٠/٤، و«المنتظم»: ٦٣-٦٤/١٠، و«اللباب»: ٣٩٢/١، و«الوافي بالوفيات»: ٢٨/٣، و«سير أعلام النبلاء»: ٥٧٩-٥٩٨، وفيه تنمة مصادر ترجمته.

(٤) قال ياقوت في «معجم البلدان»: ٣٥٠/١: بالضم ثم الفتح، من قرى جُوين من نواحي نيسابور.

(٥) في (ع) و(ح): عن أبي سعد بن سلام المغربي، والمثبت ما بين حاصرتين من ترجمته في «سير أعلام النبلاء»:

٣٢١-٣٢٠/١٦.

الجُنَيْد، عن خاله سَرِيٍّ، عن معروف الكَرْخِي، عن داود الطَّائِي، عن حبيب العَجَمِي، عن الحسن البَصْرِي، عن عليٍّ عليه السَّلَام، عن النَّبِيِّ ﷺ. واللُّبْس من الفارمَذي إلى الرَّجَاجِي، ومن الجنيد صحبة لا خرقة.

[وفيها توفي

أبو عبد الله المقرئ الفُراوي النيسابوري الصَّاعِدِي^(١)

واسمه^(٢) محمد بن الفضل بن أحمد بن محمد بن أبي العَبَّاس، أبو عبد الله الفُراوي^(٣) النَّيسابوري، وفُراوة بلدٌ من بلاد خُراسان.

ولد بنيسابور سنة إحدى وأربعين وأربع مئة، ورحل إلى الأمصار، وسمع الحديث الكثير، وتفقه، وأفتى، ووعظ، وكان كريم الأخلاق، حُلُو الكلام، حَسَن العبارة، جَوَاداً، يخدم الغرباء بنفسه مع كِبَر السِّنِّ. وتوفي في شوال، ودُفِنَ عند محمد بن إسحاق بن حُزَيْمَةَ، سمع «صحيح البخاري» من سعيد بن أبي سعيد العيَّار، وسمع «صحيح مسلم» على عبد الغافر الفارسي، [وسمع بنيسابور أبا عثمان الصَّابُونِي، وأبا بكر البيهقي، وأبا القاسم القُشَيْرِي، وأبا المعالي الجويني، وقدم بغداد حاجاً، فسمع بها من الزَّيْنَبِي^(٤) وطبقته^(٢)، وأملى أكثر من ألف مجلس، وكان على خاتمه مكتوب: الفُراوي [ألف راوي]^(٢)، وآخر ما حُوِلَ في مِحْفَةٍ إلى قبر مُسْلِم بن الحَجَّاج، فُتِّمَّ عليه قراءة «الصحيح»، وبكى، وأبكى الحاضرين، وقال: لعل هذا الكتاب لا يُقرأ عليَّ بعد هذا اليوم. فكان كما قال، توفي عقيب ذلك، وأجمعوا على عدالته وفضله، [وكان أوحد عصره]^(٢).

(١) له ترجمة في «تبيين كذب المفتري»: ٣٢٢، و«المنتظم»: ٦٥/١٠ - ٦٦، و«معجم البلدان»: ٤/٢٤٥ - وفيه وفاته سنة (٥٠٣هـ)، وهو خطأ - و«الكامل» لابن الأثير: ٤٦/١١، و«وفيات الأعيان»: ٤/٢٩٠-٢٩١، و«سير أعلام النبلاء»: ٦١٥-٦١٩/١٩، وفيه تمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ضبطها ابن السمعاني في «الأنساب»: ٢٥٦/٩ بضم الفاء، وكذلك ضبطها ابن خلكان في «وفياته»، وضبطها ياقوت في «معجم البلدان» ٤/٢٤٥ بفتحها.

(٤) في (م) و(ش) الفريقين، وهو تحريف لطيف! وقد صوبناه مما استفاد من ترجمته في «المنتظم»: ٦٥/١٠.

المُظَفَّر بن الحسين بن علي^(١)

أبو الفتح المرْدُوسني^(٢) ، أحد حُجَّاب الخليفة.

ولد سنة ست وخمسين وأربع مئة، وأقام مُدَّة في الحجابة، ثم تزَهَّد، وَلَبِسَ الفُوطَ، وَتَرَكَ ما كان فيه، وَسَمِعَ الحديث.

يوسف بن فيروز، حاجب شمس الملوك

قد ذكرنا هربه إلى تدمر، وسفارته بين قراجا^(٣) وشهاب الدِّين محمود في تسليم حِمَص، وَحَلَفَ له شهابُ الدِّين وأمنه، فعاد إلى دمشق ينوب في التَّدبير عن معين الدِّين أُنر، وكان في نفس الغلمان الأتابكية عليه حقد، لأنَّ أيلبا لما قَفَزَ على شمس الملوك أشار عليه بقتله^(٤)، وكان بزواش^(٥) أتابك العسكر يحسُّده، ويوسف يهينه ويهين الأتابكية، فاتفقوا على قتلها، فالتقاه بزواش عند المسجد الجديد في جُمادى الآخرة، فضربه بالسَّيفِ على وجهه، فقتله وهرب، وطلبه شهابُ الدِّين محمود، وقال: لا بُدَّ من قتله وقتل الغلمان الأتابكية، فقيل له: في هذا إفسادُ الدولة، وأعداؤك من كلِّ جانب. فسكت على مَضْضٍ، وعاد بزواش إلى دمشق.

السَّنة الحادية والثلاثون وخمس مئة

فيها طالبَ السُّلطانُ المقتفي وحواشيَه بمئة ألف دينار، فبعث إليه المقتفي يقول: ما رأيتُ أعجبَ من أمرِك، أنتَ تعلمُ أنَّ المسترشد سار إليك بأمواله، فوصل الكُلُّ إليك، ورجع أصحابه عُراة، وولي الرَّاشد، وفعل ما فَعَلَ، ثم رحل وأبقى أمواله

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ٦٦/١٠، و«خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج ١/٢/٤٠٤، و«الوافي بالوفيات»: ٦٧٧-٦٧٨، وفيه وفاته سنة (٥٣٢هـ).

(٢) كذا في (ع) و(ح)، وقد اضطربت المصادر في ضبط هذه النسبة، ففي «الخريدة» المردوشي، وفي «المنتظم»: المردوسي، وفي «الوافي» المردوشي، ولم أقف على ما ينسب إليه.

(٣) انظر ص ٢٧٠، ٢٨٦، وتعليقنا على الخبر.

(٤) كذا في (ع) و(ح)، والصواب: بقتلهم، وانظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٣٩٩-٤٠١.

(٥) رسم في «ذيل تاريخ دمشق»: بزواج.